العنوان:	بير أو سوسير
المصدر:	مجلة العرب والفكر العالمي - لبنان
المؤلف الرئيسي:	دال، جيرار لو
مؤلفين آخرين:	بو علي، عبدالرحمن(مترجم)
المجلد/العدد:	ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1988
الشهر:	صيف
الصفحات:	113 - 125
رقم MD:	430315
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	العلامات، بيرس ، شارل س.، سوسير ، فردناند دو، السيميوتيكا، السيميولوجيا
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/430315

بيرس أو سوسير (*)

جيرار لو دال

«لا يجب أن ندقّق نتائجنا فوق ما تضمنه لنا مقدماتنا المنطقية بوضوح.» [8.244].

I

تصدر الأبحاث المعاصرة حول العلامة من منبعين اثنين هما: **شارل س. بيرس** (1839-1914) الذي هو الأصل في التيار السيميوتيكي، **وفردناند دو سوسير** (1857 - 1913) الذي هو الأصل في التيار السيميولوجي. وسوف نذكر لماذا فضلنا اتّباع بيرس بدل سوسير. وهذا ما سيجبرنا على التكرار، فقول بعض الأشياء مرتين يبقى ضرورياً، وعلى التوسع في الأشياء التي لا تحتاج إلى التوسع، لأنها تكون أوضح في حالة التوسع.

لنبدأ أولاً ببعض الملاحظات الأولية. إننا لا نعرف نظرية سوسير حول العلامات إلاّ بفضل مؤلفه **«دروس في علم اللغة العام»**(1)، الذي هو تجميع للدروس التي كان يسجلها الطلبة والصادر بعد وفاة سوسير. وكذلك، فإن نشر كتابات بيرس حول العلامة، كان في جزء منه بعد وفاته. ونحن الآن نجهل ما كان بيرس يريد أن يحافظ عليه، وما كان يريد أن يتخلّص منه في هذه الكتابات؛ وما نعرفه فقط، هو أن كل النصوص الموجودة في: Collected papers(2) هي نصوص لبيرس.

وباعتباره منقّباً في مجالات عديدة، لم ينقطع بيرس، طوال حياته، عن تكوين نظريته حول العلامات، حتى وهو يهتم بموضوعات أخرى. لقد وضع أولى صياغات ذلك في عامي (1867) و (1868)، ثم طوّر المظهر «الذرائعي» في عامي (1877) و(1878)، ثم أعطي لهذا المظهر قاعدة

(*) هذه ترجمة لأحد فصول كتاب جيرار دو لودال: *Théorie et pratique du signe*

(1) Saussure, *Cours de linguistique générale*, Paris et Lausanne, Payot 1916.

(2) Peirce, *Collected papers*, Cambridge, Mass. Harvard University Press, 1931-1935, 1958.

منطقيـة ما بـين عامي(1880) و(1885)، ثم أعـاد النظر بعـد ذلك في تلـك الصياغـة بناء عـلى هذه القاعدة من عام (1894) إلى آخر حياته. أمّا سوسير، فلم يشر الى هذا الموضوع ـ موضوع العلامة إلّا في الدرس الثاني من دروس علم اللغة العام عامي (1908-1909)، رغم أن الفكرة كـانت سابقـة على ذلك التاريخ، ويمكن القـول قبل عـام (1901)، إذا نحن أخذنـا برأي أدريـان ناڤيـل (Adrien Naville)[3]. ومن ثم، فإن سبق سيميوتيكا بيرس على سيميولوجيا سوسير شيء لا يناقش.

إن سوسير عالم لغة أساساً، وهو مؤهّل أكثر لدراسة اللغات منـه إلى تكوين نظـريات حـول اللغة. وعلم اللغة لديه أيضاً، ينبني على تحليل اللغات، في حين أن السيميولـوجيا لا تـأتي إلّا بعد ذلك كنظرية عامة للعلامات اللغوية. وكذلك، لم تستأثر به السيميـولوجيـا، حيث إنه في الـوقت (ما بين عامي 1909 و1911) كان يبحث عن المفتاح الشعري الساتيرني، وكلفه هذا العمل وقتاً أكبر من الوقت المخصّص لتحضير دروسه حول علم اللغة العام. وعند وفاتـه، لم يعثر عـلى شيء في أوراقه، وتقريباً لا شيء يتعلق بعلم اللغة وبالسيميولوجيا، بل عُثر على مائة وخمســين كناشـة حول الشعـر الساتيرني[4].

إن المشكلة الأولى التي تعترض قارىء بيرس أو سوسير ـ وهي ما سنركز الملاحظات التالية عليهـا ـ هي مشكلة السيـاق الذي ظهـرت وتطوّرت فيـه السيميوتيكـا البيرسيـة والسيميولـوجيا السوسيرية. لقد قال **جورج مونان** عن سوسير بـأنه كـان «رجل عصره»[5]، ممّـا يعني أن نظريـة سوسير كانت تدخل في سياق علم النفس الترابطي (psy-associationniste) الحي دوماً، وسياق علم الاجتمـاع الدوركهايمي الناشىء في منعطف القـرن. والحال كمـا لاحظ مونـان أن افتراضنـا بـأن «العلامة اللغـوية لا تجمـع بين شيء واسم، بـل تجمع بـين مفهوم وصـورة صوتيـة»[**سوسـير ـ الدروس**، 98] يعني ربط مسائل اللغة بمسائل الفكر التي «نعتبرها مكتسبة» والتي لا يعـرف عنها عالم اللغة، إلّا القليل بالمقارنة مع ما يعرفه عن اللغة[6]. فالظاهرة اللغوية بالنسبة لسـوسير ليست فقط «هوية نفسية» [99]. ومن ناحية أخرى، اقترض سوسير من علم الاجتماع الدوركهايمي القول بأن «اللغة ظاهرة اجتماعية» [21]، دون أن نرى، ربما، ما يوجـد من تناقض في القـول ايضاً بـأن اللغة مكونة من «روابط يؤكد عليهـا الاتفاق الجمـاعي» [32]. ذلك أن هـذه الروابط التي تتشكّـل بـالضرورة انطلاقـاً من الفرد، هي كمـا يقال خـارجية [31]. وقـد سحب سوسـير نفسـه من هـذا الإشكال طبعاً، بتمييزه بين اللغة والكلام، أي بين «ما هو اجتماعي وما هو فـردي» [30] كما يقـول هو نفسه. لكن، هل يعني هذا الحلّ محاولةً لتجنّب المشكلة خـوفاً من تعقيـد النظام دون الخـروج من تناقض استحالة الجمع بين النفسي والاجتماعي؟

في هذا الصدد، هاجم بيرس الـذي عاصر سـوسير والـذي كان سـابقاً عـلى عصره، النزعـة النفسـاوية، وهـو الأمر الـذي مكّنه، كمـا سنرى ـ من تبنّي المـوقف السوسيـولـوجي المتنـاسق. فمعارضة بيرس للنزعة النفساوية بقيت ثابتة. وهو موقف نجده سـواء في مقالاتـه التي كتبها عـام

---

(3) Naville, *Nouvelle classification des sciences,* Genève, 1901.

(4) Cf. Sur ce sujet: Robert Godel, *Les sources manuscrites du cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure,* Genève, Droz et Paris, Minaud, 1957.

(5) Mounin, *Saussure,* Paris, Seghers, 1968, p.21.

والاشارة هنا الى رقم الصفحة من كتاب «**دروس في علم اللغة العام**» [المترجم].

(6) Ibid, p. 25.

(1868)، أو في رسائله التي وجّهها إلى لادي ويلبي في نهاية حياته[7]. لقد كتب بيرس في عام (1902) أن «تفسير الجملة هو تفسير ما هو مفهوم في النفس بناء على فعل نفسي هو أكثر الظواهر والاحداث ظلامية» [2.309]. ثم إننا نجد لبيرس في إحدى مقالاته لعام (1868) هذا القول الذي تجيب عنه بالصدى إحدى أطروحات ميشال فوكو الأكثر جرأة: «تماماً كما نقول إن جسماً ما هو في حالة حركة وليس الحركة هي التي في الجسم، ينبغي أن نقول إننا في الأفكار وليس الأفكار هي التي فينا» [5.290]. وإلى لادي ويلبي، كتب بيرس في عام (1904) يقول: «إنني أمسك عن الاستعانة بعلم النفس الذي ليس له علاقة بالايديوسكوبي (L'idéoscopie)[8]. والايديوسكوبي التي يعطيها بيرس اسم الظاهراتية أحياناً، هي السياق الخاص بسيميوتيكا بيرس. وهذا الاخير ينبهنا إلى أن (الفكرة) أو (الظاهرة) أو (الفنيرون) ليست هي التي نجدها عند الفلاسفة الانجليز الذي يصبغون على هذه الكلمة «المفهوم النفسي الذي أعمل دائماً على استبعاده» [1.285]. بل إنها «كل ما هو، بأيِّ شكل وبأيِّ معنى، موجود في الذهن ومقابلٌ لشيء ما واقعي أو غير واقعي» [1.284]. والفنيروسكوبية كما يقول أيضاً، «تمتنع من الناحية الدينية عن كل نظرية تهم العلاقات التي يمكن أن تخلقها مقولاتها مع الاحداث النفسية والعقلية أو غيرها» [1.287]. وهذا لا يعني أن هذه المقولات لا يمكن أن يكون لها سبب نفسي. بل لها أصل نفسي، لكن السبب فيها لا يؤثر على طبيعتها المنطقية أكثر مما يؤثر السبب النفسي للأعداد فيها (أي لكونها تدرك كأفكار بالذهن) على طبيعتها الرياضية. وهناك مناطقة يبنون المنطق على نتائج علم النفس: إنهم يخلطون بين «الحقائق النفسية والحقائق المتعلقة بعلم النفس» [51.485].

ليس من المفيد إذن، أن نعترض على بيرس لكونه يلتزم بالنظرية السلوكية التي دافع عنها بشكل ما، وهو الذي بنى عليها نظريته للعلامات. وهل كان بيرس سلوكياً في هذا الوقت؟ إن السلوكية التاريخية تالية للنصوص السلوكية لبيرس، فبعض هذه النصوص ظهرت باللغة الفرنسية في المجلة الفلسفية عامي (1878 و1879). ولم يكن واطسن (Watson) قد ولد حينما كتبها بيرس. وبتحديد هذه النقطة، فمن الصحة القول بأن مبدأ الذرائعية لعب دوراً كبيراً في سيميوتيكا بيرس، وذلك لأن اقتراح هذا المبدأ كان من أجل الاجابة عن مسألة لم يجد لها التحليل العقلاني جواباً، بجعله من وضوح واختلاف الفكرة رائزاً للدلالة. وقد تساءل بيرس عما تعنيه الفكرة الواضحة، وأجاب بأنها «تحديد الآثار العملية التي نعتقد إمكانية صدورها عن موضوع تصورها. فتصورنا لهذه الآثار كلها هو التصور الكامل للموضوع» [5.402][9]. فإذا كان لفكرتين اثنتين الآثار نفسها، أو إذا ترتّب عنهما الحدث نفسه، أو النتائج نفسها، فإنهما لا يكوّنان في حقيقة الأمر سوى فكرة واحدة؛ وإذا كان للفكرة نفسها آثار أو نتائج مختلفة فإنها تشكل في الواقع فكرتين أو أكثر تبعاً للحالة. وقد استبدل بيرس الحدس العقلاني بالتجربة العلمية بكل ما تحمله كلمة «التجربة» من معنى، سواء المعنى المخبري أو المعنى العقلي الذي يُعطى للفيزياء الرياضية، والذي يعني هو الآخر وضع الفرضية أو الفكرة في التجربة. ولقد كان الاستغناء عن الطريقة الحدسية واستبدالها بالطريقة التجريبية يعني رفض علم النفس الاستنباطي لحالات الوعي، واستبداله بالعمل، ليس من أجل بناء علم نفس آخر، كالسلوكية بالطبع. لقد تساءل بيرس

---

(7) Charles S. Peirce's *Letters to Lady Welby*, Irwin Lieb, ed. New Haven, connecticut, Whitlock's Inc, 1953.

الاشارة هنا إلى رقم الصفحة ورقم المجلد من كتاب «*Collected Papers*» [المترجم].

(8) Charles S. Peirce's *Letters to Lady Welby*, op.cit p. 7.

(9) *Revue philosophique*, Janvier 1879, p. 48.

عمّا هي العلامـة. فبدءاً العلامة هي ما تنتجه، وما تنتجه هـو دلالتها، وبعبـارة أخرى هـو قانـون الحدث (L'action).

إن اعتـراض بـيرس عـلى علم النفس هـو السبب غـير المبـاشر الـذي دفعـه إلى نـوع من السوسيولوجيا يرتبط بالسيميوتيكا، كما ترتبط الـذرائعية بـالنقد الـديكارتي. ولأن نظـرية بـيرس ليست نظرية نفسية، ولأنها ترفض فاعل الخطاب (le sujet du discours)، فإنها نظرية اجتماعية.

لنشرح هذا. لقد دافع بيرس عن الطبيعـة الاجتماعيـة للعلامـة دائماً. ليس كمـا كان يفعـل سوسير بمعارضة اللغة بالكلام، بل بـإقصاء فـاعل الخطـاب ببساطـة. إن **الأنا** (le je) هـو الذي يتكلم، لكن ما يقوله ليس ولا ينبغي أن يكون «ذاتياً»: إن «الأنا» هو مكان العلامات، وهو بالأخص مكان المؤوّلين، وهو مكان معزول، بل بالعكس هو مكان في حالة وكل حالة هي حالة إجتماعية.

وبمقابل نظرية سوسير، فإن نظرية بيرس حول العلامات هي نظرية جمعية وملتزمة (بـدلالة سياسية أو بدونها تبعاً لكون مكان تطبيقها سياسياً أم لا). وهذا التصوّر الجمعي والملتزم للعلامة يرجع إلى الطبيعة نفسها للعلامة في سيميوتيكا بيرس.

العلامة إذن علاقة ثلاثية، وثلاثية بيرس للعلامة لها أصل مزدوج، ريـاضي وكانطي. ريـاضي لأنـه «يستحيل تكـوين ثلاثي أصيـل دون أن يتم إدخال عنصر مـا يختلف من حيث الطبيعـة عن الوحدة والزوج». وهكذا فالفعل المتخلّص في إعطاء (أ) لـ (ب) هدية هي (س)، هو عـلاقة ثـلاثية، وبوصفه كذلك، فإنه من غير الممكن تقليصه إلى توليف ثنائي العلاقة. وفكـرة التوليف هـذه نفسها تفترض أساساً فكرة التوليف الثلاثي. ذلك لأن التوليف هو شيء كائن بوجود الأجزاء التي يضعها في علاقات. لكن، يمكن لنا استبعاد هذا الافتراض، وبالتالي نفي مقدرتنا كـذلك عـلى التفكير في أن «(أ) يمنح (س) إلى (ب) عن طريق إدماج علاقات ثنائية بين (أ) و(ب)، وبين (ب) و(س). فـ (أ) يمكن أن يجعل من (ب) انساناً غنياً، و(ب) يمكن أن يستحوذ على (س)، في حـين سيتخلّى (أ) عن (س) دون أن يكون (أ) هو الذي يمنح (س) إلى (ب). لهذا الأمر ينبغي ألّا تتواجد هذه العلاقـات الثنائية الثلاث فحسب، بل عليها أن تذوب في فعل واحد. إننا نرى إذن أنه يستحيل تحليل ثلاثيـة إلى ثنائيات» [1.363]. أما الأصل الكانطي لنظريـة بيرس، فيتجـلى في النية التي افصـح عنها هـو نفسه عام (1867)، عندما اقترح لائحة جديـدة من المقولات، وهي لائحـة تتأسّس عـلى «اختزال مختلف الاحسـاسات المتعلقـة بالحـواس إلى إحساس واحـد». الشيء الذي لا يمكن أن يتم إلّا بـواسطـة المقولات [1.545]. غير أن التركيب لا يمكن أن يتم عند بـيرس، كما كـان يتم عند كـانط بالحـدس، بسبب أن بـيرس أبعد الحـدس وكل مـا يتعلق بعلم النفس، كما يظهـر ذلـك من خـلال مقـالاتـه المنـاهضة للعقـلانية عـام (1868). وبالنسبـة لبيرس فـإن «الـوحـدة التي يختـزل إليهـا الـذهن الاحساسات هي وحدة الجملة» [1.548]. والحال أن منطق العلاقـات يُمَكّن من التمييز في الجملـة بين وظيفة جملية أولى، وبعبارة أخرى بين علاقة لا يُشار فيها إلى الاشياء أو الألفاظ التي تدخل في العلاقة (... يحبّ...)، وبين جملة بسيطة ثانيـة تشير إلى أن العـلاقة تـوجد بـالنسبة لـلأشياء أو الالفاظ التي يسمّيها بيرس بالقرائن (ايزيشيال يحبّ هولـدا، أي ع إ.هـ[10]، وبين جملـة مركبـة ثالثة تضع في علاقة (رابطة، أو منفصلة، أو استتباعيـة، أو علاقـة أخرى) مجمـوعة من الجمـل. ومن هنا نفهم المقولات المنطقية الفنيروسكوبية الثلاث: **الأولية**، أو مقولة الكيفيـة التي تفيد تعميم الممكن، **والثانوية** أو مقولة الوجود أي الحدث الواقع في خصوصية، في الهُنا والآن، **والثالثية** أو

(10) CF. Justus Buchler, *Charles S. Peirce's Empiricism*, London, Kegan Paul, 1939, pp. 114-115.

مقولة الفكرة الوسيطة وعمومية الوسيلة. إن العلامة هي أولى عندما تحيل على نفسها، وثانية عندما تحيل في الحال على موضوعها، وثالثة عندما تحيل على مؤوّلها. (وإذا ما اعتبرنا العلامة في ذاتها، فإن موضوعها ومؤولها هما معاً علامتان، ولهما العلاقة الثلاثية نفسها مع ذاتهما، ومع موضوعهما، ومع مؤولهما). وتسمية المؤول تأتي من كونه كعلامة يلعب دور المؤول. وهكذا فنحن «إذا بحثنا عن كلمة (انسان) في قاموس فرنسي ـ انجليزي، فإننا سنجد مقابل كلمة (انسان) كلمة (man) التي تمثل (homme)، كما تمثل نفس المخلوق ذي القائمتين الذي تمثله (man) نفسها» [1.553]. وبحسب بيرس، فإن هذا الأمر يُفهم انطلاقاً من العلامة الثالثة، وهذا فقط لأننا نتوصل بإحساسات متنوعة. ونحن لو كنا نملك إحساساً واحداً فقط، لما كنا نحتاج إلى «مفهوم المرجعية إلى المؤول»، وذلك لأنه لن تكون هناك تعدّدية ينبغي اختزالها إلى وحدة واحدة [1.554].

إن نظرية سوسير نظرية ثنائية. هذا أمر مؤكد. فكل تحليلات سوسير تحليلات ثنائية الفروع: دال/ مدلول، لسان/ كلام، سانكروني/ دياكروني... إلخ. فهل ينبغي أن نرى في هذا الأمر طابع «المزاج الثنائيّ التفريع» لسوسير، كما يشير إلى ذلك **مارسل كوهن**؟ في هذه الحالة يجب أن نتحدث عن مزاج بيرس الثلاثي التفريع. لأن التفريع الثنائي هذا، كما يلاحظ مارسيل كوهن، لم يعد «ضرورياً البتّة في دراسة اللسانيات»(11). إن سيميولوجيا سوسير لكونها ترابطية، فهي ثنائية ـ كما هو الحال بالنسبة للفلسفة الغربية كلها منذ أفلاطون، وضمنها الفلسفة العقلانية التي مدت في عمرها النزعة الترابطية. وعلى العكس من ذلك، فالسيميوتيكا بالنسبة لبيرس، هي اسم آخر للمنطق. فهي «النظرية الضرورية تقريباً والمؤكدة للعلامات» [2.227] في حين أن السيميولوجيا بالنسبة لسوسير هي «جزء من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس العام» [الدروس، 33]. ولتفادي أي سوء تفاهم، يمكن القول إن الشيء الذي يوضع موضع السؤال هنا هو الموقع الذي تحتله نظرية العلامات بالنسبة للعلوم الأخرى. ونحن عندما نقول بأن نظرية المقولات تفسر لنا نظرية بيرس للعلامات، فالأمر يتعلّق بشيء آخر، أي يتعلّق بالنظام أو السياق المرجعي المفسّر. ومع أن سوسير قد جعل من علم النفس مجالاً للسيميولوجيا ونقطة مرجعها، فإنه لا بد من التمييز بشكل دقيق بين السيميولوجيا كعلم نفسي وبين الفلسفة النفسية لأصحاب المذهب الترابطي التي تساعدها على التعبير عن نظريتها للعلامات. ومهما كانت هذه الفلسفة ضمنية، فإنها لا تغيّر شيئاً في الأمر، إلّا إذا فهمنا أن سوسير، وهو ينتبه إلى ضرورة وجود وسيلة تضاف الى السيميولوجيا للتعبير عن العلامات، وجد نفسه مضطراً لكي يجعل من اللسانيات هذه الوسيلة، اللسانيات التي هي جزء من السيميولوجيا، لأن «اللغة هي فعل سيميولوجي» [112]، و«هي شفيعة السيميولوجيا» [101]. يجب القول إذن، لتبرئة ساحة سوسير، بأنه كان واعياً جداً، من جهة بأن التحليل البسيكو ـ اجتماعي للعلامة يؤدي «إلى اهمال الطبائع التي لا تنتمي إلّا إلى الأنظمة السيميولوجية عموماً، وإلى اللغة خصوصاً» [34]، ومن جهة أخرى بأن «المشكل اللساني هو قبل كل شيء مشكل سيميولوجي». وكما يقول مونان «فقد كان من المحتمل، لو أن سوسير لم يمت، أن تكون نظريته للعلامة نقطة انطلاق وتنظيم لنظريته كلها»(12). ومن هنا، وكما نعتقد، كانت ستطرح عليه دون شك مشكلة تكوّنها المنطقي. فهل كان سوسير سيتخلّى عن المنطق الثنائي؟ هل كان سيدخل بعداً ثالثاً إلى نظريته عن العلامات، كما أصبح يفعل رولان بارت؟ («فالمعنى كما يفهم منذ الرواقيين، يتشكل من ثلاثة أشياء: الدال والمدلول

(11) Marcel Cohen, *Linguistique et idéalisme,* in recherches internationales à la lumière du Marxisme, 1958, cité par Mounin, op.cit., p. 38.

(12) Mounin, op.cit., p. 50.

والمرجع»)[13]. إننا لا نغامر بقول ذلك. فما هو مؤكد هو أن النظرية الثلاثية للعلامة نظرية تحمل سيميوتيكا متعدّدة وملتزمة يرفضها بارت، وهي السيميوتيكا التي وضع بيرس عناصر نموذجها الذي يظهر أن **جوليا كريستيفا** كانت تتمنّاه[14].

إن العلامة نفسها تنتمي إلى مقولات، وإلى أنماط وأقسام من العلامات مختلفة بحسب النظر إليها، سواء بالنسبة إليها ذاتها كعلامة أولى، أو بالنسبة لموضوعها كعلامة ثانية، أو بالنسبة لمؤولها كعلامة ثالثة. فبالنسبة لذاتها، فإنها كما هي، مستقلة عن موضوعها وعن مؤولها. ولكن كعلامة أولى، ستكون إمكانية لعلامة، أي ستكون علامة وصفية؛ وكعلامة ثانية، ستكون علامة حقيقية (رسماً، أو أثراً مميَّزاً): أي ستكون علامة فردية؛ وكعلامة ثالثة ستكون علامة مقنّنة أو علامة نموذج مثالي: أي ستكون علامة عرفية. وبالنسبة لموضوعها، يمكنها: إمّا أن تشبهه، أو أن تشير إليه، أو أن تحدّده. فهي إذن بالتسلسل: إمّا أيقونة أو قرينة و/أو رمز. وبالنسبة لمؤولها، لن تكون إلّا متصوَّرة أو ممثَّلة (Rhème)، أي ستكون علامة ثنائية، أو مؤولة باستدلال، بكل ما في كلمة الاستدلال من معنى (برهان Argument). وهكذا، فالآثار في المثال المأخوذ عن بيرس نفسه «آثار الأقدام التي تركتها **فندرودي** (Vendredi)»، هي بالنسبة لذاتها علامة وصفية، أي علامة لكيفية (بعيداً عن كونها تعبر عن شيء مطبوع على الرمال)، وهي علامة فردية باعتبارها تمثل هذه الآثار الفريدة من نوعها التي توجد هنا، وفي هذا المكان المحدّد من جزيرة روبنسون (Robinson)، لكنها لن تكون علامة عرفية، ذلك لأن العلامة العرفية هي علامة لقانون، ولها عمومية لا تملكها بصمة أقدام Vendredi. ويمكن لها أن تكون علامة عرفية في سياق آخر، إن هي ساعدت ـ كما هو شأن البصمات ـ على التمييز بين Vendredi وبين سكان الجزيرة الآخرين في حالة وجودهم. وبالنسبة لموضوعها، فأقدام Vendredi هي أيقونة كاملة، مع أنها مقلوبة كما هو الحال مع صورة أي شخص ينظر إلى نفسه في المرآة. ولكنها في الوقت نفسه قرينة لحضور ما في الجزيرة، ليس لحضور أي شخص، وإنما لحضور كائن انساني يكون شكل أقدامه بمثابة الرّمز لدى المؤول الذي يستدل بتمثيل هذا الشكل، وبما يشير إليه، على أن إنساناً ما يوجد في مكان ما من الجزيرة.

من هنا نرى أن السيميوتيكا البيرسية هي في الوقت نفسه سيميوتيكا التمثيل، والتواصل، والدلالة. والعلامة كما هي، لها وجود خاص، أي لها وجود للّاعلامة، كما يمكن أن نقول إن السفير، مع أنه يمثل بلاده، يمثل ما هو بالنسبة لنفسه، بتاريخه الشخصي الذي يميّزه عن سابقه، وبالدور الذي يقوم به في الوقت الذي يقدم فيه أوراق اعتماده. إن ألفاظ (دور) و(في الوقت الذي) تحدد بالدقة المستويين الآخرين للعلامة نفسها. فـ «الدور» يرجعنا إلى المعنى الذي يشكِّل قاعدة التأويل في نظام علامات مؤولة. وتقديم أوراق الاعتماد هو لعبة لها قواعدها، ومعنى الحركات له طابع عمومي، لأن الحركات هي نفسها بالنسبة لكل سفير، وفي كل مناسبة يتمّ فيها تقديم أوراق الاعتماد. إن ألفاظ (في الوقت الذي) تشير إلى أن اللعبة تجري الآن. فالتواصل الذي يشكل تقديم أوراق الاعتماد يحدث الآن. إن هذا التواصل هو إذن فعل فردي مجسّد، وحدث من التاريخ وفيه. والمعنى هو قاعدة الحدث: إنه يعطي تعريفاً لكل حدث من نفس النمط في نظام علامات معطى. (وكما هو معلوم يمكن أن ينظر إلى التمثيل، والتواصل، والدلالة، بالتسلسل كعلامات أولى وثانية وثالثة). وهذا النظام لا يضمّ إلّا الرموز. لكن هذه الأخيرة لا تحيل فقط على الرموز، وإنما تحيل أيضاً على علامات (ممثلة) يمكن أن تكون قرائن (وجودية) لموضوعات، بكل ما في هذه اللفظة من معنى: ممكنة، أو وجودية أو عامة. ان احتلال الباستيل (Bastille) هو رمز في نظام دلالات تاريخ

(13) *Barthes par lui-même,* Paris Ed. du Seuil, 1975, p. 169.

(14) Tel Quel, *Théorie d'Ensemble,* Paris, Ed, du Seuil, 1968, p. 81

فرنسا. إنه يحيل على فكرة ما عن الحرية، وعن نفي الاعتباط أو رفضه. ولكن الوثائق التي وصلتنا (إذا ما وُجد القصر المدمّر) والتي مثلتها مخيلتنا، هي قرائن لدولة فرنسا التي وصفها التاريخ وأوّلتها أنظمة الرموز. ولا يجب أن نسيء الظن بأنفسنا، فالبدء في الحدث لا يتحدّد بحدث معطى، لأنه لا يوجد حدث بدون قانون للحدث يعطي ويشكّل في الوقت نفسه الدلالة. فالالتزام يوجد في الملتقى الاجتماعي دائماً لاتجاهات العلامة الثلاث.

هل يمكن إذن أن يختار المرء ما بين بيرس وسوسير؟ قد يكون السؤال بصيغة أخرى فنقول: هل نبني نموذجاً انطلاقاً من التجربة؟ أو نحلّل التجربة في ضوء نموذج لا ينبغي أن تكون مبادئه أو مسلّماته مستقاة من صدفة اللقاءات، بل من تجانس القرار؟ بصيغة أخرى: كيف نختار؟ ما دام كل نموذج يشكل نموذجاً مستقلاً، ولا يقبل أي تدخل خارجي، فمن الممكن أن نحاول تقديم (وأن نحكم) سيميوتيكا بيرس بواسطة المصطلحات السوسيرية، وسيميولوجيا سوسير بالمصطلحات البيرسية، واختبار صحتهما يمكن إذن ـ في التحليل الاخير ـ في تناسق النموذج الذي سنستخرجه منهما، وفي خصوبة التحليلات التي سيتيحها لنا هذا النموذج. فلا يمكن أن نختار دون أن نلتزم.

II

من الممكن جداً، بل ومن السهل ايضاً، أن نجد في سيميولوجيا سوسير بعض المفاهيم الاساسية المرتبطة بسيميوتيكا بيرس، هذا بالرغم من اختلاف سياقي السيميولوجيا السوسيرية والسيميوتيكا البيرسية. وهذا الأمر لا يعني تماثل هذه المفاهيم. فدلالة هذه المفاهيم السياقية على العكس من ذلك تماماً، تمنع من حيث المبدأ كل تماثل بين هذه المفاهيم وتلك. ومشروعنا أيضاً لا يريد أن يخلط بين هذه المفاهيم السوسيرية بعد أن نكون قد عارضناها، وإنما سيتيح لنا الاستفادة من المفاهيم السوسيرية التي نفترض أننا فهمناها، من أجل فهم المفاهيم البيرسية. وإذا كنا سنأخذ بالنظام البيرسي كمرجع، فهذا راجع إلى أن طابعه الثلاثي (triadique)، يتيح لنا إدخال بعض التلوينات في التحليل العلاماتي، هذه التلوينات التي انتبه إليها سوسير في بعض الأحيان، ولكنّ الطابع الثنائي لنظامه لم يسعفه في التعبير عنها.

مبادىء نظرية العلامات:

يمكن أن نجد مبدأين من مبادىء سيميوتيكا بيرس لدى سوسير.

المبدأ الأول هو أن لا وجود للفكرة دون وجود للعلامات: إذ «بدون مساعدة العلامات، فإننا نكون عاجزين عن التمييز بين فكرتين بشكل واضح ودائم» [دروس في علم اللغة العام، 155]. أما المبدأ الثاني، فهو مبدأ الذرائعية الذي يتضمنه تصور سوسير للاختلاف. إن العلامة ليس لها خصوصيات إلّا لأنها لا تتطابق مع علامة أخرى [163]. فـ «لا توجد في اللغة إلّا الاختلافات» [166]. ولكن، «ولأن الدال والمدلول المأخوذين كل واحد منهما على حدة تفاضليان وسالبان بلا قيد ولا شرط، فالتوليف بينهما أمر إيجابي، لأنه يتسبّب في خلق نظام من القيم، هذا النظام الذي «يشكل الرابط الحقيقي بين العناصر الصوتية والنفسية داخل كل علامة» [166]. «ما يميز العلامة وما يكوّنها في اللغة وفي أي نظام سيميولوجي، هو الاختلاف الذي يعطي الطابع، كما يعطي القيمة والوحدة» [168]. هذا ما تؤكده بعض المظاهر التطورية. وهكذا فـ «عندما يختلط مفهومان اثنان بسبب التغير الصوتي (مثال ذلك decrepitus = decrepit وCrispus=decrépi)، فإن الافكار تميل

إلى الاختلاط أيضاً، وإن كانت قليلة التناسب. فهل يكون المفهوم مختلفاً (مثال Chaise وChaire)؟ بالتأكيد إن الاختلاف الذي يظهر يميل إلى أن يصبح اختلافاً دالاً» [167].

إن بيرس لا يقول شيئاً آخر، وإن كان يقوله بأسلوب آخر. «ليس هناك من فرق دقيق في الدلالة لكي نستطيع أن نعطي اختلافاً في الانجاز» [5.400]. لقد تساءل بيرس عن كيفية «تحاشي مخادعات الكلام» [8.33]، تلك المخادعات التي «يكفي أن يدخل اختلاف نحوي بسيط بين كلمتين لكي يؤدي ذلك إلى اختلاف في الافكار التي تعبر عنها الكلمتان» [5.399]. لا توجد «قاعدة أحسن» من التالية: «إذا كانت الأشياء تؤدي الوظيفة نفسها تماماً، فلنعبّر عنها إذن بالكلمة نفسها. وإذا كان العكس فلنميّز بينها» [8.33]. وهذا ما أسماه بيرس بمبدأ الذرائعية، أو بالمبدأ الأساسي في الذرائعية.

تحليل العلامة:

1 ـ **التحليل البيرسي**: لنذكّر أولاً بأن تحليل بيرس يتمّ انجازه سيميوتيكياً في ثلاثة أزمنة، وفي ثلاثة مستويات مختلفة العلاقة: 1 ـ **بالعلاقة مع الممثّل**: تحلّل العلامة ذاتها بعلاقة مع ذاتها، 2 ـ **بالعلاقة مع موضوعها**، 3 ـ **بالعلاقة مع علامة المؤول**، وبعبارة أخرى بالعلاقة مع العلامة أو مع مجال العلامات الذي يضع القارىء أو المستمع فيه الممثّل لكي يمكن لهذا الأخير أن يحيل على الموضوع. إن الزمن الثالث أو المستوى الثالث يفترض عن طريق الاستعادة السيميوتيكية وجود الزمنين الثاني والأول، وكذلك فإن الزمن الثاني أو المستوى الثاني يفترض وجود الزمن الأول.

ومن هنا، فإن الجدول التالي يوضح لنا التحليل البيرسي، ويمكّن من التمييز بين تسعة أنماط مع العلامات الفرعية (Les sous-signes):

جدول (2) ـ الأنماط التسعة للعلامات الفرعية ـ

	1	2	3
مم1 $(R)_1$	علامة وصفية	علامة فردية	علامة عرفية
م2 $(O)_2$	ايقونة	قرينة	رمز
مؤ3 $(I)_3$	فدليل (ريم)	علامة ثنائية	برهان

2 ـ العلامة:

أ ـ خطّية العلامة والسّيميوز (Sémios): بالنسبة لسوسير «توحّد العلامة اللغوية بين المفهوم والصورة السمعية» [98]، أي توحد بين الدال والمدلول [99]. فهي «جوهر نفسي ذو وجهين» [99]. أمّا بالنسبة لبيرس، فالعلامة سيميوز اي علاقة حقيقية بالمعنى الفعال للعلامة. و«السيميوز يعني الفعل أو الأثر الذي هو تشارك ـ أو الذي يفترض تشارك ثلاثة فواعل، هي على التوالي: العلامة، وموضوعها، ومؤولها. وهذا الأثر ثلاثي العلاقة لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يختزل إلى

مجرد علاقات بين أزواج» [5.484]. وفي هذه الحالة، كما في تلك، تكمن استمرارية العلامة. لكن هنا ايضاً يتوقّف التقارب، لأن الخطية زمنية، وهي لا تصلح إلّا بالنسبة «للدوالّ السمعية» فقط للعلامة اللغوية، ولا تصلح حتى بالنسبة «للدوالّ المرئية» (الإشارات البحرية... وهلمجرّا) [103]. أمّا السيميوز، فهي منطقية وتشمل كل السياق السيميوتيكي (ad. infinitum) [2.303]. وتجدر الإشارة إلى أن سوسير يقرّ بأن «الجوهر اللغوي لا يوجد إلّا بإدماج الدال والمدلول»، وأنه «يختفي حينما لا نقبض إلّا على واحد من هذين العنصرين» [144]. وهذا ما يبدو واقعاً في هذه الحالة.

ب ـ **اعتباطية العلامة والمؤول**: إن العلامة الاعتباطية لا تحلّل. وبهذا المعنى أيضاً ينبغي فهم المؤول. فالأخير لا يؤول بشكل حرّ: إنه مترجم يقول في لغة معينة الشيء نفسه الذي يقال تماماً في لغة أخرى. وقد كتب سوسير مشيراً إلى أن العلامة الاعتباطية «لا ينبغي أن يفهم منها أن الدال يتبع الاختيار الحر المتكلّم (وسنرى... أنه ليس بمقدور الفرد أن يغيّر شيئاً في العلامة التي تكون المجموعة اللغوية قد أقامتها)» [101]. فـ «الجماعة ضرورية لإقامة قيم يكون سبب وجودها الوحيد هو استعمالها[15]، والاتفاق العام الحاصل حولها[16]. اما الفرد بمفرده، فعاجز عن ذلك» [157].

ج ـ **نظام العلامات وفهرسته (repertoire)، ومجال العلامات وحقلها**:

«إنه لوهمٌ كبير أن نعتبر لفظاً ما كما لو أنه ببساطة اتحاد بين صوت ومفهوم. فتعريف اللفظ هكذا يعني عزله عن النظام الذي هو جزء منه، ويعني الاعتقاد ايضاً أنه من الممكن أن نبدأ بعمرفة الألفاظ، وبعد ذلك بناء نظامها عن طريق جمعها، في حين أنه ينبغي ـ على العكس من ذلك ـ الانطلاق من الكلّ الموحد، من أجل الوصول عن طريق التحليل إلى العناصر التي يشملها هذا الكل» [157]. أما بيرس، فإنه يميّز بين ثلاثة أنماط في النظام العلامي، وذلك على اعتبار النظر إلى العلامات في حدّ ذاتها (الفهرسة)، أو النظر إليها بعلاقة مع موضوعها (المجال domaine)، أو بعلاقة مع مؤولها (الحقل Champ). ويجب التنبيه إلى أن فهرسة الممثلين، ومجال الموضوعات، وحقل المؤولين بالنسبة لبيرس لا تقبل الفصل.

د ـ **القيمة والمؤول**: لقد ميّز سوسير قيمة الدلالة. والتعريف الذي أعطاه للقيمة في علاقتها مع الدلالة يناظر مناظرة تامة تعريفه للمؤول. (انظر الجدول رقم (3)).

إن الدلالة هي الوجه الآخر لهذه الصورة السمعية التي هي الدال [158].

ثم إن قيمة كلمة ما لا تتحدد بإمكانية استبدالها بفكرة أو بكلمة أخرى. وإنما هي متأتية من كونها تنتمي إلى نظام، أو بالأحرى إلى حقل من المؤولين. «ومضمون الكلمة لا يتحدد تماماً إلّا بمساعدة ما يوجد خارجاً عنها»، «وقيمة أي لفظ تتحدد بما يحيط به» [160]. وهكذا، فإن كلمتي mouton وSheep لهما الدلالة نفسها، لكن ليس لهما القيمة نفسها [160]. والسبب في ذلك أن للّغة الانجليزية في فهرستها للدلالة على mouton كلمتين، هما: sheep وmutton، في حين أن اللغة الفرنسية لا تملك سوى كلمة واحدة. فما يحدد الدلالة في اللغة الانجليزية هو فهرسة العلامات، بينما ما يحدد ذلك في اللغة الفرنسية هو حقل المؤولين

وقد وضع سوسير بين قوسين مجال الموضوعات كما سنرى ذلك في مكان لاحق.

---

(15)الاستعمال الذرائعي وليس العملي، باعتبار أن المجموعة هي التي تفرض قواعد.
(16)اتفاق مجموع المستعملين (الباحثين كما يقول بيرس).

جدول (3) ـ القيمة والمؤول ـ

فهرسة الممثّلين	مجال الموضوعات	حقل المؤولين
الخروف Mouton Sheep	حي	كل الدلالات
الخروف Mouton Sheep	لحم	غذاء

كذلك نجد في اللغتين الالمانية والانجليزية فهرسة لعلامتين (mieten وvermietten, to rent وto let) كمقابل للعلامة الفرنسية الوحيدة (Louer) في معنييها (استأجر بيتاً لنفسه) و(استأجر بيته للغير)، بحيث إن التمييز بين الدلالتين يرجع إلى حقل المؤولين، أو إذا شئنا إلى السياق [161].

ويمكن أن نشير إلى ملاحظات مماثلة بالنسبة للجواهر اللغوية. فقيمة الجمع في اللغة الفرنسية لا تطابق قيمة الجمع السنسكريتي الذي يشمل المثنى والجمع [161].

إن علاقة الدال ـ مدلول «ترمز إلى الدلالة»، ولكنها «ليست سوى قيمة محددة بروابطها مع قيم أخرى مماثلة و.. بدونها لن تتحقق الدلالة» [162]. إذن، فبدون مؤول ليست هناك دلالة.

3 ـ التّفرّعات الثلاثية للعلامة:

أ ـ التفرع الثلاثي للممثّل:

1 ـ **الدال، العلامة الوصفية، والعلامة الفردية**، لقد رأينا بالنسبة لسوسير أن «العلامة اللغوية توحد بين المفهوم والصورة السمعية» [98]، أي بين الدال والمدلول [99]. والحال أن الصورة السمعية ليست هي «الصوت المادي كشيء فيزيائي محض، بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت، والتمثيل الذي تمنحه لنا حواسنا عن هذا الصوت وتشهد به» [98]. فالصورة السمعية ستكون إذن علامة وصفية (نفسية)، وصوتها المادي سيكون علامة فردية. وسنرى لاحقاً، في الحالة الخاصة لهذه العلامة التي هي العلامة اللغوية، أن الصورة السمعية المعطاة (التي هي علامة فردية على كل حال) هي إجابة على علامة عرفية.

2 ـ **العلامة الاعتباطية والعلامة العرفية**، لقد عرّف سوسير العلامة الاعتباطية عندما تساءل عمّا إذا كانت بعض صِيغ التعبير كالحركات الايمائية، تخرج عن مجال السيميولوجيا: «إن كل وسائل التعبير التي يتقبّلها المجتمع ـ يقول سوسير ـ تنبني، مبدئياً، على عادة جماعية، أو على اتفاق. فعلامات الاحترام المحمّلة في معظم الاحيان بنوع من التعبيرية الطبيعية مثلاً، لا تثبّتها القاعدة بشكل أقل، بل هذه القاعدة هي التي تفرض استعمالها، وليس قيمتها الباطنية» [100-101]. فالعلامة الشمولية (دال / مدلول) هي علامة عرفية إذن، أي «قانون هو نفسه علامة» [2.246]

3 ـ **الرد الجوابي (La réplique)**، «إنّ العلامات التي تتكون منها اللغـة ليست تجريـدات، بل موضوعات حقيقية» [144]. و«العلامـات اللغويـة لكي تكون نفسيـة أساسـاً ليست تجريـدات، والصور المتفق عليها عن طريق الاتفاق الجماعي والتي تشكل مجتمعةً اللغة، هي حقائق مستقرها هو الذهن. بالإضافة إلى ذلك، فعلامات اللغة هي، كما يقال، ملموسة» [32].

إن العلامات ليست تجريدات. وما يريد سوسير أن يقوله هو إنَّ الدال بدون مدلول لا يعتبر شيئاً ذا معنى، وكذلك العكس، أي المدلول بدون دال. وهذا ما سبق أن أشرنـا إليه. وبـيرس يؤكد أيضاً، مثله مثل سوسير، على أن عـلامات الممثـل، والموضـوع، والمؤول، تخرج من كـونها تشكـل علامات، إذا أخذت مستقلة عن بعضها بعضاً. فالالتحـام بين هـذه العلامـات الثلاث هـو الذي يشكل العلامة. لكن، ما هو مادي وملموس، ليس هو العلامة اللغوية، بل هو الـردّ الجوابي عنهـا. وهذا يعني أن سوسير شأنه شأن بيرس، قد وضع التمييز بـين العلامـة العرفيـة والرد الجـوابي (المعجمي على الأقل). «إنه من غير الممكن أن يكون الصوت الذي هو عنصر مـادي، منتمياً بنفسـه إلى اللغة... وإن لكل القيم الاتفاقية هذا الطابع، الذي بفضله لا تختلط مع العنصر الملمـوس الذي يصلح لها كأساس. وهكذا فليس معدن العملة هو الذي يحدد قيمتها» [164]. فالـدال اللغوي دال «معنوي»، أي «علامة عرفية» بالمعنى البيرسي. ويعطي سوسير مثالاً عـلى ذلك إذ يقـول: «إن اللثغ بالرّاء في الاستعمال العام للغـة الفرنسيـة، لا يمنع كثيـراً من الأشخاص من تفخيم الـراء، وليس هناك أي إخلال بـاللغة، لأن اللغـة تتطلّب الاختلاف، ولا تشتـرط أن يكون للصـوت طابـع ثابت» [164-165]. والشيء نفسه ينطبق على أنظمة الكتابة (الخطوط)، بشرط ألّا نخلط بين d وl من جهة وt من جهة أخرى. وهكذا، يمكننا أن نكتب الردود الجوابية لِـ t بطرق متعـدّدة [165]. «إن الوسيلـة التي تنتـج العلامـة ليست مهمة إطـلاقاً، لأنهـا لا تهمّ النظـام... فـأن أكتب الحـروف بـالابيض والأسود، أو أن أكتبها بشكل مقعّر أو بشكل مجسّم، بواسطة الريشـة أو المقصّ، كل هـذا ليست له أهمية بالنسبة لدلالتها» [166].

ب ـ التفرّع الثلاثي للموضوع:

تقرّ السيميولوجيا السوسيرية باعتبارها سيميولوجيا ثنائية، أن العلامة اللغوية لا توحّد بين «الشيء والاسم»، بل بين «المفهوم والصورة السمعية» [98]، حيث يقوم المفهوم بدور المؤول(17). غير أن سوسير يلتقي هنا بالقرينة والرمز البيرسيين.

1 ـ **الاختلاف والقرينة**: «إن قيمة الحروف هي قيمة سـالبة واختـلافية، ويمكن هكـذا للشخص نفسه أن يكتب (t) بالأشكال المختلفة التالية:

T t T

والشيء المهم والوحيد هو ألّا تختلط هذه العلامة مع علامة l وd وهلمجرا» [165]. وبـيرس لا يخالف هذا الرأي، لكن الأساس (le support) يمكن له أن يكون قـرينة في نظـام علامـات آخر، في نظام الخطوط (graphologie) مثلاً. والسبب الذي دفع بسوسير إلى عدم اعتبار مختلف طرق كتابة t بمثابة قرائن سببان: الأول، أي المشار إليه سابقاً، هـو أن العلامـة لا تربط بـين الكلمة والشيء، والثاني هو أن العلامة التي وصفها سوسير هي العلامة اللغوية.

(17)نجد هذا أيضاً في أطروحة د. غرينلي:

D. Greenlee, *Peircés concept of sign,* Mouton, 1973.

التي ليست سوى قراءة سوسيرية لأعمال بيرس.

2 ـ **الرمز والطبيعة**: إن الرمز، لو استطاع سوسير أن يستعمله كمفهوم، لن يكون سوى اسم آخر للعلامة العرفية. لكن سوسير، وهو يستعمل الكلمات بالمعنى الذي كان لها في اللغة العادية، لم يستطع أن يستعمل كلمة «رمز» لتحديد العلامة اللغوية، لأن «الرمز يبدو وكأنه لا يكون اعتباطياً دوماً، فهو ليس فارغاً، إذ هناك عنصر طبيعي فيه يربط بين الدال والمدلول» [101]. فالميزان يمكن أن يكون رمزاً للعدالة، وليس الدبابة. ولهذا السبب فإن الكلمات المعبّرة عن أصواتها (onomatopées) ـ أصيلة كانت أم غير أصيلة ـ وكلمات التعجّب ليست رموزاً بالمعنى الدقيق [101-102].

ج ـ التفرّع الثلاثي للمؤول:

يبدو أن سوسير قد حدّد المؤول بالمفهوم الوحيد للمدلول، أي بالفدليل Rhème. والحالة هذه أن التعارض بين العلاقات التركيبية والعلاقات الادماجية [170-175] كان بإمكانه أن يقوده إلى تمييز الجملة (العلامة الثنائية) عن المفهوم والبرهان. ولكن سوسير يرفض هذا التمييز. «إن النظرية المنتشرة بشكل لا بأس به تؤكد أن الجمل هي الوحدات الملموسة الوحيدة: ونحن لا نتكلم إلّا بالجمل، وبعد ذلك نستخرج الكلمات. ولكن إلى أي حدّ تنتسب الجملة إلى اللغة؟ إذا كانت تتعلق بالكلام، فلا يمكن أن تكون وحدة لغوية. لكن لنفترض في هذا الوقت أن هذه المشكلة تعتبر منتهية. في هذه الحالة، فإن الطابع الأكثر لفتاً للانتباه، إذا نحن تصوّرنا مجموع الجمل التي يمكن التلفّظ بها، هو أنها (أي الجمل) لا تتشابه أبداً فيما بينها... وما يسود هذه الجمل هو التمايز، ونحن إذا ما حاولنا البحث عمّا يربط بينها، فإننا لن نجد سوى الكلمة بخواصّها النحوية، ونقع بذلك في المشاكل ذاتها» [148-149].

ولكي نختصر الكلام، نورد هذا الجدول الذي يضمّ مفاهيم بيرس السيميوتيكية، وكذلك مفاهيم سوسير التي يمكن اعتبارها مطابقة لمفاهيم بيرس. أما الخانات الفارغة فتشير إلى أن التحليل السوسيري لم يكن بإمكانه ـ أو أن سوسير لم يكن يرى من ضرورة ـ وضع التمايزات الملائمة.

جدول (4)ـ التصنيف البيرسي للمفاهيم السوسيرية ـ

	1	2	3
مم R	أثر الصوت النفسي	الصوت المادي (الأساس)(*)	علامة شاملة (عادة، علامة جماعية، اتفاق مثبت بقاعدة)

(*) «تتوافر كل القيم الاتفاقية على هذا الطابع الذي يتلخّص في كون الخلط لا يتمّ بينها وبين العنصر الملموس الذي يصلح لها كأساس [164]. فبالنسبة لـ 1 تعتبر 2 علامة فردية، وبالنسبة لـ 3 تعتبر رداً جوابياً.

مو O		(*)	(**)
مــؤ I علامة غير معللة قيمة اتفاقية.	مفهوم (الكلمة)		

ترجمة: عبد الرحمن بوعلي.
كلية الآداب ـ
جامعة محمد الأول ـ وجدة

(*) يمكن للأساس هنا أن يلعب دور القرينة، لكن سوســير لا يعتبره عـلامة، لأن الأساس ليس لغوياً.

(**) «الرمز» بالنسبة لسوسير «رمز طبيعي».